OPEN ACCESS
Received: 09 -10 -2024
Accepted: 15- 01-2025

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

History and Fiction in the Novels *The Prickly Pear* by Rachid Boudjedra, and *Stone, Blood, Paper or Ashes* by Maïssa Bey

Amal Zaouidi*
amal.zaouidi@univ-alger2.dz

Abstract:

This research examines the interplay between history and fiction in Algerian novels written in French, focusing on a comparison of *Stone, Blood, Paper or Ashes* by Maïssa Bey and *The Prickly Pear* by Rachid Boudjedra. The study explores how history resists imagination and the integration of historical and fictional characters. Using a combined historical and structural analytical approach, the research investigates each writer's method of incorporating historical elements into their narrative texts. The study is structured into an introduction and a preface, with the latter addressing the relationship between the novel and history. The first section analyzes the characters in the works of Maïssa Bey and Rachid Boudjedra, contrasting historical reality and fictional imagination. The second section examines the balance between imagination and historical representation in the characters, while the third explores the novels' treatment of the time of reality versus the time of memory. The findings reveal that Boudjedra selectively incorporates historical events relevant to his narrative, unlike Bey, who provides a more comprehensive historical account. Consequently, Bey's novel can be considered a historical document compared to Boudjedra's work, which leans more heavily on imagination and contains fewer historical details.

Keywords: Employment of History, Fiction, Algerian Novel Written in French, Historical Characters.

* PhD Scholar in Comparative Literature, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arabic Language and Literature and Oriental Languages, University of Algiers 2 - Algeria.

Cite this article as: Zaouidi, A. (2025). History and Fiction in the Novels *The Prickly Pear* by Rachid Boudjedra, and Stone, Blood, Paper or Ashes by Maïssa Bey, *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *7*(1): 85 -97.

© This material is published under the license of Attribution 4.0 International (CC BY 4.0), which allows the user to copy and redistribute the material in any medium or format. It also allows adapting, transforming or adding to the material for any purpose, even commercially, as long as such modifications are highlighted and the material is credited to its author.

الآداب
للدراسات اللغوية والأدبية

OPEN ACCESS
تاريخ الاستلام: 2024/10/09م
تاريخ القبول: 2025/01/15م

التاريخ والخيال في روايتي (التين الشَّوكي) لرشيد بوجدرة، و(حجر ودم وورق أو رماد) لمايسة باي

آمال زاويدي*

amal.zaouidi@univ-alger2.dz

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة المتشكِّلة بين ما هو تاريخي وما هو خيالي في الرّواية الجزائرية المكتوبة باللُّغة الفرنسية من خلال موازنة رواية الكاتبة "مايسة باي" المُعنونة بـ"حجر ودم وورق أو رماد" ورواية الأديب "رشيد بوجدرة" الموسومة بـ"التين الشوكي" بغية معرفة صمود التاريخ في وجه الخيال وكيف يتم دمج الشخصيات التاريخية مع الشخصيات الخيالية. ولقد استعمل البحث منهجًا يجمع بين المقاربة التاريخية والتحليل البنيوي؛ بغية معرفة طريقة عمل كلّ أديب جزائري يكتب باللّغة الفرنسية في إدماج الشق التاريخي في متنه الرّوائي، وتم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد تناول التمهيد الرواية والتاريخ، وجاء المبحث الأول بعنوان الشخصيات في رواية "مايسة باي" ورواية "رشيد بوجدرة" بين الواقع التاريخي والتخيل الروائي، وكان المبحث الثاني بعنوان الشخصيات الروائية بين التخييل والتاريخ، في حين ناقش المبحث الثالث الرواية بين زمن الواقع وزمن الذاكرة. وتوصل البحث إلى أن "بوجدرة" لم يذكر كل الأحداث التاريخية مثل ما فعلته "مايسة باي"، وإنما اكتفى بذكر ما يراه مهما ومناسبا لحبكته الروائية دون النزوح عنها، ومن ثم يمكن القول إنّ رواية "مايسة باي" هي وثيقة تاريخية إذا ما قارناها برواية "رشيد بوجدرة" التي يندرج فيها الخيال كثيرا والفقيرة من حيث الأحداث التاريخية مقارنة برواية "حجر ودم وورق أو رماد".

الكلمات المفتاحية: توظيف التاريخ، الخيال، الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، الشخصيات التاريخية.

* طالبة دكتوراه في الأدب المقارن - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية - جامعة الجزائر 2 - الجزائر.

للاقتباس: زاويدي، آ. (2025). التاريخ والخيال في روايتي (التين الشَّوكي) لرشيد بوجدرة، و(حجر ودم وورق أو رماد) لمايسة باي، *الآداب للدراسات اللغوية والأدبية*، *7*(1): 85-97.

© نُشر هذا البحث وفقًا لشروط الرخصة Attribution 4.0 International (CC BY 4.0)، التي تسمح بنسخ البحث وتوزيعه ونقله بأي شكل من الأشكال، كما تسمح بتكييف البحث أو تحويله أو الإضافة إليه لأي غرض كان، بما في ذلك الأغراض التجارية، شريطة نسبة العمل إلى صاحبه مع بيان أي تعديلات أُجريت عليه.

مقدمة:

ركّزت الرواية الجزائرية على الظواهر الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والنفسية للشعب الجزائري كنتيجة للاحتلال الذي دام 130 سنة، فلطالما كان الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسية أدب التحدي وحب الوطن، وتجلّى هذا الحضور في جميع صور الأدب (الرواية والشعر والمسرح والقصص) بصيغة تاريخية أوجدتها الظروف المذكورة أعلاه. قاوم الكتّاب بالكتابة بلسان ناطق بلغة العدو من أجل نقل ما يحدث في مجتمعهم الجزائري إذ لا يملك العمل الفني قيمة إلّا إذا كان عميقا حيث يستمد نسغه من الوطن الذي ينتمي إليه (DIB, 1975).

إنّ الأدب الجزائري المكتوب باللّغة الفرنسيّة هو أدب معاصر يتمحور حول التّاريخ وأصبح كمرجع أساسي وتوثيقي يساعد في فهم مجتمع عاش تحت وطأة الاستعمار واستبداده وما خلّفه في نفسيات القرّاء والأدباء الذين قدّموا لوحة فنية ذات أبعاد عديدة منها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للجزائر أثناء الحقبة الاستعمارية (YAHYAOUI, N. D).

تتخذ الأديبة الجزائرية "مايسة باي" في روايتها Pierre Sang Papier ou Cendre (حجر ودم وورق أو رماد) (BEY, 2008) تاريخ الجزائر موضوعًا لها، حيث تنقل لنا أوضاع الجزائر من بداية الاستعمار الفرنسي إلى السّنوات الأولى للاستقلال. تحتوي الرّواية على خمسة وعشرين فصلا نجد فيها شخصية "مدام لافرانس" وشخصية "الطفل" الذي يبقى طفلا طوال 132 سنة. فهذا النص الأدبي ممزوج بغضب شديد يتخفّى وراء قناع شخصية الطفل الذي لا يشيخ أبدًا.

نجد أيضا من بين الرّوائيين الجزائريين الذين تناولوا تاريخ الجزائر في كتاباتهم، الكاتب والرّوائي الجزائري الذي يكتب باللّغتين العربية والفرنسية "رشيد بوجدرة" حيث أصدر سنة 2010 رواية موسومة بـ"Les figuiers de Barbaries" (Boujdedra, 2010) (التين الشوكي)، المتكونة من مئتين وأربع صفحات وتدور أحداثها في حوالي ساعة واحدة حيث يلتقي قريبان بعد سنوات طويلة في رحلة جوية بين الجزائر العاصمة وقسنطينة وعلى مدار ساعة من عمر الرحلة توجد رحلة داخلية أخرى يدخل غمارها كلتا الشخصيتين لتحيلانا إلى ذكريات شخصية وجماعية متعلّقة بتاريخ الجزائر.

رشيد طبيب جراح، وعمر مهندس معماري تربطهما صلة قرابة وصداقة منذ الطفولة، تقاسما الألعاب نفسها والمحن نفسها ونشآ على مشاركة الأفراح والأحزان، ممّا جعلهما يشتركان في ذكريات لا تُنسى إلى أن بلغا الطور الثانوي الذي درسا فيه معًا وبعدها انضمّا إلى صفوف جبهة التحرير الوطنية. ومن خلال ذكرياتهما تتعاقب أحداث الاستعمار الفرنسي للجزائر مع كل ما حملته من مآسٍ وآلام وعنف وجرائم ضد الإنسانية إلى غاية ما بعد الاستقلال.

بعد لقاء الصديقين في المطار تتعاقب الذكريات ومن ثم تنشأ القصة كما يعرف في النقد بالسّرد المفتون بذاته أو المباشر، وهو حكاية في صلب حكاية.

تتمثل إشكالية بحثنا في معرفة هل يتماهى التاريخ في الرواية كما يتماهى السرد في التاريخ؟ وهل من حدود فاصلة بينهما في النص؟ وتتفرع عن إشكاليتنا التساؤلات التالية:

- ما العلاقة المتشكلة بين ما هو تاريخي وما هو خيالي في الروايتين بغية معرفة صمود التاريخ في وجه الخيال؟
- كيف تم دمج الشخصيات التاريخية مع الشخصيات الخيالية؟

انبنى عملنا على الفرضيات الآتية:

قد يكون الأديبان غلّبا في روايتهما الطابع التاريخي على الخيالي لأنهما شهدا السنوات الأخيرة من الاستعمار الفرنسي للجزائر وعاشا الاستقلال، فقاما بدمج شخوص تاريخية ومقاطع مرجعية ذكرا من خلالها الأحداث التاريخية كما حدثت

بدقة. أو ربما لكونهما روائيين، فهما لم يستعينا بالشخوص التاريخية بشكل مباشر وإنّما خلقا شخصيات خيالية حرّكاها في زمن الاستعمار. فنجد الساردين قد صوّرا مآسي الشعب الجزائري وذلك بتسليط الضوء على وحشية السياسة الاستعمارية من خلال نقل أيديولوجيتهما التي تمثل في الوقت نفسه أيديولوجية الشعب الجزائري الذي عانى الكثير جرّاء الاستعمار الفرنسي الوحشي دون أن ننسى أنّ الكتابة في حدّ ذاتها هي كتابة أيديولوجية محضة.

نجد دراسات عديدة ومختلفة اهتمّت بالرّواية التاريخية الجزائرية مثل التي اهتمّت بإعادة كتابة التاريخ من خلال منظور نسوي وذلك بتسليط الضوء على أعمال الكاتبة "آسيا جبّار" و "زهور ونيسي" و "يمينة مشاكرة" كما نجد دراسات حول دور المرأة الجزائرية في التاريخ وذلك من خلال التركيز على روايات الأديبة "آسيا جبّار" مثل رواية "بعيدة عن المدينة" و"الحب والفنتازيا" و"أطفال العالم الجديد" وغيرها من الرّوايات. كما نجد أيضا دراسات تهتمّ بتوثيق حياة الجزائريين قبل الثورة التحريرية وخلالها من خلال تحليل ثلاثية الكاتب "محمّد ديب" خاصة روايته "الدار الكبيرة" ودراسة أعمال الرّوائي "مولود فرعون" كرواية "ابن الفقير" التي تتناول الموضوعات نفسها.

وتندرج دراستنا ضمن دراسات الرّواية التاريخية بعد الاستعمار، ومن أجل الإجابة عن إشكالية بحثنا قمنا بدراسة تحليلية مقارنة بين الرّوايتين "حجر ودم وورق أو رماد"، و"التّين الشوكي" بغية معرفة منهج كل روائي في الحديث عن الرّواية التاريخية المكتوبة باللّغة الفرنسية، إذ سنتطرق بداية إلى مفهوم الرّواية التاريخية ثم سنقوم بتحليل الشخصيات التاريخية المدمجة في الرّوايتين، والمقارنة بينهما، مع تحليل الشخصيات الرّوائية الخيالية المدمجة في الرّوايتين؛ بغية معرفة الأدوار التي تلعبها، والهدف من إدماجها، وفي الأخير سندرس الزمن الرّوائي والتّاريخي المدمج في الرّوايتين مع التركيز على هدف كل منهما ، ومقارنة كيف تمّ دمجهما في الرّوايتين.

وسنعتمد في بحثنا هذا على منهج يجمع بين المقاربة التاريخية والتحليل البنيوي، في إطار المنهج المقارن الذي يُعدّ الأساس في هذا النوع من الدراسات، حيث سنرصد كيف تُعيد الرّوايتان صياغة الأحداث التاريخية وتحويلها إلى مادة أدبية نابضة بالحياة. وسنقوم بتحليل العناصر السردية كالشخصيات والحبكة وتقنيات السرد مع تسليط الضوء على طريقة توظيف الكاتب للتاريخ باعتباره خلفية.

وتم تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد، تناول التمهيد الرواية والتاريخ، وجاء المبحث الأول بعنوان الشخصيات في رواية "مايسة باي" ورواية "رشيد بوجدرة" بين الواقع التاريخي والتخيل الروائي، وكان المبحث الثاني بعنوان الشخصيات الروائية بين التخييل والتاريخ، في حين ناقش المبحث الثالث الرواية بين زمن الواقع وزمن الذاكرة.

تمهيد: الرو اية التاريخية

إنّ الحديث عن الرّواية والتاريخ يُوجب علينا أن نعرّف الرّواية التاريخية حتى نضع القارئ في السياقات المناسبة، حيث عرّفها "ألفرد شيبارد" Alfred Shepard بأنّها: "تتناول القصة التاريخية الماضية بصورة خيالية. يتمتع الروائي بقدرات واسعة يستطيع معها تجاوز حدود التاريخ، لكن بشرط ألا يستقر هناك لفترة طويلة إلّا إذا كان الخيال يمثل جزءا من البناء الذي سيستقر فيه" (لفتة، 1997، ص 185).

يحيلنا التعريف إلى القدرة على تجاوز التاريخ إلى الخيال بينما وصف "مولينو" Molino الرّواية التاريخية "بتداخل أبطال مجسدين ومحددين لحقبتهم في مرحلة تتصادم فيها ثقافتان وتختلط بالشخوص العظيمة والأحداث؛ لتبين طريقة عيش مجتمع لتاريخه، فيسلط الضوء مرة على الشخصيات العظيمة ومرة على العادات ومرة على الأبطال ولكن الأهم يبقى في

الربط بين هذه العوامل الثلاثة أي الأحداث التاريخية وطريقة العيش والتفكير في حقبة معينة، وأخيرا المغامرات الفردية للأبطال" (Molino, 1989, P 63, & Altwaiji, 2024).

تسعى الرواية التاريخية إلى أن تنسي القرّاء الحاضر فتستحيل إلى حلم يقظة، لأنها رحلة إلى الماضي محمّلة بشعور يلازم القارئ وكأنّه عاش وساهم في مشاهد مُعاشة من طرفه.

المبحث الأول: الشخصيات في رو اية "مايسة باي" ورو اية "رشيد بوجدرة" بين الو اقع التاريخي والتخيل الرو ائي

تتخذ الأديبة الجزائرية "مايسة باي" في روايتها "حجر ودم وورق أو رماد" تاريخ الجزائر موضوعا لها، فتنقل لنا أوضاع الجزائر من بداية الاستعمار الفرنسي عام 1830م، إلى السنوات الأولى للاستقلال. وقد استعملت الروائية شطرا من شعر "بول إيلوار" Paule Eluard من قصيدته "الحرية" المكتوبة في 1942م وعنونت به روايتها.

تروي لنا الأديبة في روايتها جميع المراحل التي مرت بها الجزائر أثناء الاستعمار الفرنسي بدءا بدخول "مدام لافرانس" ورجالها إلى الجزائر عبر شاطئ سيدي فرج سنة 1830 إلى غاية خروجهم منها سنة 1962 مرورا بكل الأحداث التالية:

المقاومات واغتصاب الأملاك، واستغلال الأراضي الجزائرية، والاحتفال بمرور 100سنة من الاستعمار الفرنسي للجزائر، وسياسة القمع المستعملة من طرف الاستعمار الفرنسي، والثورة التحريرية، وغيرها من الأحداث التاريخية التي بقيت راسخة في الذاكرة الجزائرية إلى الأبد.

وصفت لنا الكاتبة مختلف الطّرق التي لجأت إليها فرنسا لإخضاع الجزائر والجزائريّين خصوصا في القرى حيث يسود البؤس والشقاء والكره، فنجد شخصية الطفل الذي يبقى طفلا طوال 132 سنة، إنه طفل تعلّم في المدرسة الفرنسية والمدرسة القرآنية معا، وهو شاهد على ما تفعله "مدام لافرانس" في بلده الجزائر بعيون الأطفال البريئة. وتخلّل الرّواية حضور شخصيات تاريخية بارزة مثل "الأمير عبد القادر" والجنيرال" ديغول" اللذين أضافا بعمقهما وتأثيرهما لمسة تاريخية على خيوط الحكاية، ولم يكن حضور الشخصيات مقتصرًا على الشخصيات التاريخية فحسب، بل امتد أيضًا إلى الساحة الأدبية، حيث تألقت شخصيات أدبية مثل "ألبير كامو" و"كاتب ياسين".

لقد عَكَسَ عنوان رواية "التين الشوكي" لرشيد بوجدرة قوة وشراسة الشعب الجزائري في مواجهة الاستعمار الفرنسي حيث إنّ "كلمة التين كانت تستعمل فيما مضى للإيحاء بطريقة عنصرية إلى الجزائريين، ولكننا جعلنا منها رمزًا للمقاومة ورفضًا للمستعمر" (DIB, 1975, p 108)، ويمثّل التين الشوكي بالنسبة للجزائريين: " الحراس الذين يسهرون على حماية الوطن رغم الكوارث والإبادة الجماعية" (DIB, 1975, p 103). فعبارة "التين الشوكي" هي استحضار الذكريات بين الصديقين رشيد وعمر خلال ساعة واحدة من الرحلة الجوية بين الجزائر وقسنطينة والمتعلقة بحياتهما وتجاربهما الشخصية.

فالرّواية عبارة عن خليط بين حياة الشابين، والأحداث التاريخية المتعلقة بالاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث سعى "رشيد بوجدرة" إلى إحياء ذكرى كل من ساهم بالنفس، والنفيس، من أجل وطن حر، ومستقل، مثل "عبان رمضان"، و"طالب عبد الرحمن"، و"فرناند ايفتون"، و"جميلة بوباشا"، و"جميلة بوحيرد"، و"أني ستاينر".

إنّ الشخصيات ذات المرجعية التاريخية (Barthes, and others, 1997. P 122) هي شخصيات لها أصل في التّاريخ، أوردت في الرّواية؛ مبرزة دورا فعالا، ووظيفة دلالية، وتظهر هذه الشخصيات كأعمدة تاريخية، خاصة الشخصيات السياسية التي تتجسد في أحكام، ومآسٍ، ومواقف تترك أثرًا عميقًا في الذاكرة الجماعية، فعلى القارئ في حالة التلقي الاستعانة بكل المعارف الخاصة بهذه الشخصيات التي تساعده في فهم، واستيعاب الإضافات، والتطورات التي تطرأ في السرد.

نجد في رواية "حجر ودم وورق أو رماد" أنّ الساردة قد تحدثت عن المفكر الفرنسي "ألكسيس دي توكفيل" الذي يحلّل ويفكر وفق معايير تحقّر من شأن الشعوب غير الأوروبية معتبرين إياها خارجة عن السياق الحضاري والتاريخي لأوروبا المسيحية المتقدمة والمتطورة في جميع الجوانب الحياتية. ففكرة احتلال الجزائر كانت تداعب مخيلة العديد من رجال السياسة والفكر الفرنسيين الراغبين في توسيع النفوذ الجغرافي وتحقيق المصالح الاقتصادية والثقافية، ومن ثم إلغاء الوجود الحضاري للدولة العثمانية.

من بين الملاحظات التي دوّنها "ألكسيس دي توكفيل" في رسالته، نجد جهل فرنسا بواقع الجزائر آنذاك: "لم تكن لدينا أي فكرة واضحة عن مختلف الأعراق التي تقطن بها ولا أخلاقهم ولم نكن نعرف كلمة عن اللّغات التي كانت تتكلمها شعوبها والبلد ذاته وثرواته وأنهاره ومدنه ومناخه فلم نكن نعرف شيئا عن كل هذا" (الجزائري، د.ت).

وتحدّث المفكر الفرنسي عن وحشيّة المستعمر الفرنسي في استيلائه على الأراضي الجزائرية واصفا ذلك بما يلي: "من جهة، لقد سمعت مرارا في فرنسا رجالا أحترمهم ولكن لا أؤيدهم أنهم أدانوا حرقنا للمحاصيل وإفراغنا لصوامع القمح وأيضا هجومنا على رجال غير مسلحين والنساء والأطفال، ولكن بالنسبة لي هذه ضرورة حتمية على كل من يريد القتال وإن أردت التعبير عن رأيي فهذه الأعمال لا تقلقني بما أنها مباحة في الحروب الأوروبية. فما هو أكثر وحشية، أهو حرق المحاصيل وسجن الأطفال والنساء مع تدمير شعوب محاصرة أو الاستيلاء في البحر على البواخر التي تنقل البضاعة الموجهة لعدونا؟ فبرأيي الاحتمال الأول هو أقل بربرية ووحشية من الثاني" (de Tocqueville, 1988, p 77).

نجد أيضا من بين أفراد الجيش الفرنسي الكولونيل "دي مونتنياك" De Montagnac الذي استعمل كل الأساليب الوحشية خلال الحقبة الاستعمارية، وهذا المقطع خير دليل على ذلك: "يجب أن تمحى جميع الشعوب التي لا تقبل شروطنا ويجب أن يؤخذ كل شيء بالقوة وأن يدمر دون الأخذ بعين الاعتبار الجنس والعمر فلا يجب أن ينمو العشب أين يضع الجيش الفرنسي قدميه، فالغاية تبرر الوسيلة مهما قال الآخرون. أُعلم جميع الجنود الذين لي شرف قيادتهم أنهم إن أحضروا لي عربيا حيّا فسيقتلون [...] وهكذا يا صديقي الشجاع كيف يجب علينا القيام بالحرب على العرب: فيجب القتل حتى سن الخامسة عشرة وخطف جميع النساء والأطفال وترحيلهم بعيدا، أي علينا تدمير كل ما يرفض الرضوخ عند أقدامنا مثل الكلاب" (De Montagnac, 1885, 1843, P 334).

وصفت "مايسة باي" في الفصل الرابع من رواية "حجر ودم وورق أو رماد" الحديث الذي يدور بين رجلين حول إلزامية اللّجوء إلى القتل والحرق (سياسة التدمير) وذلك من أجل السيطرة على الجزائريين، فيتبين أن الرّجل ذا المعطف الأسود هو نفسه المفكر الفرنسي "ألكسيس دي توكفيل" الذي ينادي بهذه السّياسة الوحشية، والذي يصر ويؤكد أنها الطريقة الوحيدة لفرض السيطرة على الأراضي الجزائرية، فيقول: "بعد صمت طويل، يضيف الرجل ذو المعطف الأسود بنبرة صوت مقنعة قائلا: إنها بالنسبة لي ضرورة حتمية مزعجة لكل من أراد إعلان الحرب على العرب [...] فأعتقد أنه بدافع الحرب لدينا الحق في تدمير البلد وذلك من خلال إتلاف المحاصيل الزراعية وانتهاج الإبادة الجماعية لنتمكن من الاستيلاء على السكّان والحيوانات. هي بلا شك طرق وحشية وغير قانونية إلاّ أنني أتحدى كل من يزعم وجود طرق أخرى للخروج من الورطة التي نحن فيها" (BEY, 2008, p 220).

ذكرت "مايسة باي" في الفصل التاسع مرة أخرى المفكر الفرنسي "ألكسيس دي توكفيل" الذي اعترف بعد سنوات من الاحتلال الفرنسي للجزائر وكتب أنّ فرنسا قد قامت بجعل الجزائر أكثر تخلفا وبربرية مما كانت عليه قبل قدوم الفرنسيّين الذين ادّعوا في بادئ الأمر أنهم قدموا إلى الجزائر لجعلها بلدا متحضرا ومتطورا. إذ كان في بداية فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر مؤيدا لكل ما تقوله "مدام لافرانس"، حيث كان دائم الوفاء لها ولقراراتها ومؤيدا للسياسة الوحشية المرتكبة

في حق الجزائريين. ولكنّه كتب فيما بعد معترفا: "أصبح المجتمع العربي أكثر بؤسا وخرابا وجهلا وبربرية مما كان عليه قبل قدومنا." (BEY, 2008, p 52).

قمنا بمقارنة ما ذكره "ألكسيس دي توكفيل" استنادا إلى الكتاب Travail sur l'Algérie 1841، والمقاطع المستعملة في رواية مايسة باي، ولاحظنا أنّ الكاتبة قد استعملت العبارات نفسها والكلمات التي استعملها المفكر الفرنسي، فهي لم تغير شيئا، وهذا يدل على البحث الذي قامت به لإثراء روايتها وإعطائها قدرا من المصداقية، خصوصا أنها تتحدث عن التاريخ. فالشخصيات حقيقية ولم يُغيّر شيء في أقوالها لتنقل للقارئ باللّغة الفرنسية واقعا وحشيا مريرا موثقا، لا من الذاكرة، وإنّما من التاريخ ومن شهادات رجال مارسوا هذه الوحشية على الشعب الجزائري.

وصفت الساردة في الفصل الرابع شخصية "مدام لافرانس" المنهزمة ضد المناضل الجزائري الشجاع "الأمير عبد القادر" الذي قاوم الاستعمار بكل ما أوتي من قوة، فقد نجح في هز المستعمر الفرنسي وزرع الخوف فيه وزعزعة قوّته: "من تجرأ، من كانت له جرأة التصدي لـ"مدام لافرانس"؟ من يعتقد نفسه قادرا على تحطيمها؟ من يفكر ولو لوهلة هزيمتها؟ أهو رجل أو قائد؟ يقال إنه يسمى "عبد القادر" محارب لا يقهر ورعيته قاموا بمبايعته أميرا عليهم" (BEY, 2008, p 25).

تطرّقت الكاتبة في الفصل الثامن من الرواية للحديث الذي يدور بين رجلين، أحدهما "الدكتور بوديشون" الذي بدوره يتحدث عن الجنرال "كلوزيل": «حدّثني صديقي الجنيرال "كلوزيل" عن أمريكا الجديدة قائلا بأنّ مزايا الجزائر ستكون عديدة لو أنه يحدث مثل ما حدث في أمريكا. أين اختفت سلالة السكان الأصليين؟" (BEY, 2008, p 50).

فهو يعترف إذن بأنهم بصدد نهب أراضي وممتلكات الجزائريين، ولكنّه يخشى ردّة فعلهم، فيرى أنّ الحل الأمثل هو قتل ومحو السكان الأصليين الذين يملكون هذه الأراضي. وعند لجوئنا إلى المراجع التاريخية وجدنا تصريح "بوديشون" كالتالي: "بدون اختراق قوانين الأخلاق يمكن لنا محاربة أعدائنا الأفارقة بالنار والحديد مع نشر المجاعة والكحول وبث النزاع فيما بينهم [...] يمكن القضاء على العرب بدون إراقة الدماء وذلك بالهجوم على مصدر عيشهم والسطو على مدخراتهم في كافة مناطق الجزائر" (Kamel, 2001, p 40).

فأقصر طريق بالنسبة للدكتور "بوديشون" لبلوغ غايتهم والاستيلاء على الجزائر بأكملها هو نشر الرعب وهو بالضبط ما قالته السّاردة في روايتها على لسان الشخصية التي دمجتها ونقلت أقوالها وآرائها عن الاستعمار الفرنسي للجزائر.

تحدثت أيضا "مايسة باي" في روايتها عن الكاتب "ألبير كامو" الذي يصف بدوره المعاناة التي يعيشها الشعب الجزائري من فقر وبؤس وحرمان، فيقول: "أتتذكر ما كتبته قبل ست سنوات بعد رحلتي إلى بلاد القبائل عام 1939؟ ما زلت أرى مجموعة من الأطفال ذوي الثياب الرثة ينافسون الكلاب في البحث في سلة المهملات عما هو صالح للأكل [...] أما الآخرون فكان يغمى عليهم في المدارس، وهي بالتأكيد حقيقة مؤلمة وتدل على عدة أشياء حيث واجهت آنذاك هذا الاستغلال والبؤس، ولكن لم يتغير شيء. أتعلم أن حصة الأكل التي يتناولها المواطن الجزائري هي أقل من تلك التي تعطى للأوروبي؟ حيث إن الفرنسي يستهلك في اليوم 300غ والعربي 250غ التي هي في الحقيقة 150غ [...]" (BEY, 2008, p 44).

وإذا ما عدنا إلى المقالات والتحقيقات التي نشرها "كامو" في جريدة **Alger républicain** عندما كان شابا في الثامنة والعشرين، عقب الجولة التي قام بها في منطقة القبائل عام 1939، نجده رافضا للسياسة الفرنسية المطبقة في الجزائر، فيقول: "رأيت ذات صباح باكرٍ في تيزي وزو أطفالا يرتدون ثيابا رثة يسابقون الكلاب من أجل الحصول على محتويات صندوق القمامة وعندما سألت رجلا أجابني قائلا: "هذا يحدث كل صباح" وأعلمني رجل آخر بأن سكان القرية الذين بالكاد يجدون

طعاما ولباسا ويخادعون النوم قد أوجدوا طريقة ليتمكنوا من النوم في فصل الشتاء حول النار فهم يتحركون ويزحفون طوال الليل في الكوخ البائس...".

فقد قامت الكاتبة بدمج ما كتبه "ألبير كامو" عن السياسة الاستعمارية الوحشية المنتهجة من طرف الاستعمار الفرنسي في الرواية والمتمثل في تجويع السكّان وفرض المجاعة في ظل ظروف قاسية خلال فصل الشتاء والذي كان قد عبّر عنه في الربورتاج المكون من عشر حلقات (بين 5 جوان و15 جوان 1939).

وذكرت "مايسة باي" أيضا في روايتها الروائي الجزائري "كاتب ياسين" الذي كان لا يزال شابا في مقتبل العمر: "في المكتبة تصرخ أستاذتي في الرسم بصوت مرتفع قائلة لي: "إذن كاتب أهذه هي ثورتكم؟ أأنت سعيد؟" (BEY, 2008, p 94). وشرحت الروائية كيف شارك "كاتب ياسين" في مظاهرات 8ماي 1945 والتي أدّت إلى القبض عليه بعد خمسة أيام بـ"بوقاعة"، حيث سُجن وعمره لا يتجاوز 16سنة. فاكتفت الكاتبة بدمج انضمامه لصفوف مظاهرات الثامن من ماي وذلك من خلال دمج شخصيته في إطار روائي، وذلك نظرا لصغر سنّه أثناء تلك الفترة الاستعمارية.

وبعدها، ذكرت الرّوائية في الفصل الثالث والعشرين الضابط الفرنسي "شارل ديغول" وتحدثت عن مكانته أثناء تلك الفترة الاستعمارية: "هو بطل المقاومة الذي وثقوا فيه قبل سنوات قليلة عندما رفع ذراعيه على شكل حرف V الذي يدل على كلمة النصر حيث قال لهم جملته الشهيرة: لقد فهمتكم" (BEY, 2008, p 138). ونلاحظ أيضا من خلال قراءتنا للرواية أنّ "مايسة باي" قد استعملت جملا شهيرة لـ"شارل ديغول" الذي تلّقى معارضة شديدة من قبل المعمّرين في الجزائر وذلك بعد إصدار حق تقرير المصير. فقد استعانت في متنها الروائي بما قاله في الرابع من جوان 1958.

ومنه، نستخلص أنّ الروائية قد استعانت في المتن الروائي بالشخصيات التاريخية الفرنسية والجزائرية مثل "ألكسيس دي توكفيل والأمير عبد القادر ودكتور بوديشون وألبير كامو وكاتب ياسين وشارل ديغول". وعندما عدنا في كل مرة إلى المقاطع المرجعية، نجد أنّ الروائية قد تقيّدت تماما بما قالته هذه الشخصيات أثناء الفترة الاستعمارية، وقد اكتفت فقط بدمج هذه المقاطع المرجعية فيها وهذا راجع إلى الطابع التاريخي الذي تتسم به الرّواية.

وعند قراءتنا لرواية "التين الشوكي" لاحظنا أنّ الرّوائي "رشيد بوجدرة" قد استعان -بدوره- بعدد من الشخصيات التاريخية حيث ذكر في البداية مراسلة الجنيرال "بيجو" للجنيرال "بيليسي": "1845/06/11 أورليان فيل، من الجنيرال بيجو إلى الجنيرال بيليسي، إذا انسحب هؤلاء الأوغاد العرب إلى كهوفهم، افعل ما فعله "كافينياك" مع قبيلة السبيعة: قم بحرقهم مثل الثعالب. آمل أن تكون عائلتك كلها بخير. تحياتي لزوجتك." (Boujdedra, 2010, 80).

وضّح لنا الكاتب من خلال هذا المقطع في بداية الرّواية السّياسة الاستعمارية الوحشية المنتهجة في الجزائر من خلال ما قام به "مونتينياك" في حق قبائل شلف إذ أُعدموا عن طريق الاختناق، فكانت مجزرة قبائل السبيعة، ولم تنحصر عملية إبادة العنصر البشري على منطقة محددة في الجزائر، بل أصبحت هواية كل قائد عسكري فرنسي، وهذا ما وجدناه في الصفحة 32 على لسان الجنيرال "سان أرنو" الذي احتل قسنطينة في مراسلته إلى أخيه قائلا: "عندما حاول العرب المقاومة قمنا بحرقهم وتدخينهم محبوسين في كهوفهم كالثعالب..." (Boujdedra, 2010, p 32).

ونجد أيضا في مراسلة الجنيرال "بيليسي" للجنيرال "سان أرنو": "لقد قمت بحرق خمسمائة لص في كهف بالقرب من تيبازة، قم بنفس الشيء فهذه الطريقة أسرع..." (Boujdedra, 2010, p 32). فنلاحظ من خلال هذه المقاطع أنّ الرّوائي "رشيد بوجدرة" قد سلّط الضوء على وحشية السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرف الجيش الفرنسي أثناء احتلاله للجزائر.

ونستنتج في عملية مقارنة أنّ اللّجوء للشخصيات التاريخية والمقاطع المرجعية في الرّوايتين مختلف، إذ نجد أنّ الكاتبة "مايسة باي" قد قامت بذكر كل ما يوجد في الوثائق التاريخية حول جرائم الاستعمار ووحشيته من خلال استعمال كل المقاطع المرجعية، أمّا الروائي "رشيد بوجدرة" فقد اكتفى بذكر أمثلة قليلة من المقاطع المرجعية التي توحي بوحشية السّياسة الاستعمارية في الجزائر.

المبحث الثاني: الشخصيات الروائية بين التخييل والتاريخ

يرى "فاين" Paul VEYNE أنّ التّاريخ هو رواية أحداث حقيقية بشرط أن تكون هذه الأحداث واقعية: "لا توجد طريقة لدراسة التاريخ بما أننا ندرس أحداثا وقعت بالفعل، فالتاريخ دائم البحث عن الحقيقة ولا يمكن تصنيفه كعلم لأنّه لا يهتم بالدقة" (VEYNE, 1971, p 23).

ويضيف قائلا: إنّ التاريخ هو المعرفة المبتورة التي تروي من الأحداث الماضية ما يمكن معرفته بالضبط وفقط إذ لا يمكن كتابة تاريخ أحداث لم يبق منها أيّ آثار. وعند رجوعنا إلى الرّوايتين نجد أنّ السّاردين قد تناولا أحداثا حقيقية وقعت بالفعل أثناء فترة الاستعمار الفرنسي بين 1830 و1962 وذلك بنسب متفاوتة في الروايتين.

يقول "ريكور" Paul RICOEUR في كتابه الشهير "التاريخ والحقيقة" إنّه تتشابك في التّاريخ الموضوعية والذاتية: فمهمة المؤرخ تقوم على ترجمة وتسمية ما لم يعد موجودا (الذي وجد في الماضي فقط ولكن بطريقة ومفاهيم معاصرة) وهنا تكمن الموضوعية. أمّا الذّاتية فهي عندما يلجأ المؤرخ للخيال لنقل المفاهيم والحقائق بطريقة مبسطة لمعاصريه، لأنها تمثل الوسيلة الوحيدة والأساسية لدراسة التاريخ وفهمه.

أضافت "مايسة باي" في رواية "حجر ودم وورق أو رماد" عناصر خيالية بهدف تبسيط التاريخ الذي ندرسه مثل شخصية "الطفل" وشخصية "مدام لافرانس"، وهي لم تستعمل اسم علم بل استوحت الأسماء من خيالها، فقد تركت شخصية الطفل مجهولة بدون اسم معين كونه يعبّر عن كل الشعب الجزائري، أما شخصية "مدام لافرانس" فهي مستوحاة من فرنسا البلد المستعمِر.

أمّا بالنسبة إلى رواية "التين الشوكي" فنجدها رواية خيالية ذات شخوص خيالية تتخللها أحداث تاريخية، فتتناول القصة حياة الصديقين "عمر" و"رشيد" اللذين يستحضران كل ذكريات الصغر مرورا بمرحلة الشباب فتتنوع الأحداث بين فترات الطفولة والشباب وتمتد إلى الحاضر، حيث يتبادلان قصص المغامرات وتجارب الحب مع التوأم "دنيا" و"مونيا".

ويتخلل السرد تفاصيل حياتهما المعاصرة، مع التركيز على العلاقات العائلية والمحطّات المهمة في مسيرتهما حيث تتناغم الأحداث للإجابة عن تساؤلات نفسية تثيرها هاتان الشخصيتان، كاشفتين عن أفراد عائلاتهما والمحن والتحديات التي واجهاها في رحلتهما الحياتية. لطالما عانى "رشيد" من استبداد وسيطرة والده الذي وصفه بالمتقلب والمهووس جنسيا: "والد لعين، متعدد الزوجات ومتحرش بالأطفال" (Boujdedra, 2010, p 24) يعيش في "مجتمع قديم، متشدد ومنافق" (Boujdedra, 2010, p 24). ولكنّه معجب به في الوقت نفسه: "طبعا لقد كان مواطنا وعالما ولكنه في الوقت نفسه كان نذلا حقيرا متعجرفا ومنحرفا" (Boujdedra, 2010, 176).

أمّا بالنسبة لـ "عمر"، فقد كان يتكلم بطريقة متناقضة حول والده، وأخيه الذي يعظّمه، فهو لم يستطع إنصافه، حتى أنّه اختار في الأخير عدم الكلام؛ لصعوبة الأمر، وكتم كل شيء في اللاوعي: "حاول عمر الهروب من هذا الخلط الذي عانى منه بسبب الواقع المزيف حول الأب المتعاون مع الاستعمار والأخ المنتسب إلى **OAS** " (Boujdedra, 2010, p 17).

نلاحظ أنّ الكاتب "رشيد بوجدرة" قد استعان في متنه الرّوائي بالعديد من الشخوص الخيالية التي تساهم في إغناء القصة وجعلها أكثر إثارة وتشويقا، وهي تمثل في الوقت نفسه أفكار الرّوائي ومفاهيمه التي يسعى لنقلها من خلال روايته.

المبحث الثالث: الرواية بين زمن الواقع وزمن الذاكرة

ينقسم زمن الرواية إلى الماضي والحاضر: في الماضي، يستخدم الكاتب تقنيات الاسترجاع لاستحضار تاريخ الجزائر، حيث ينقلنا إلى تجارب الشخصيات التاريخية التي شهدت على فظاعة الاستعمار الفرنسي وعنفه فيتمحور السرد حول شهادات وأقوال هذه الشخصيات، وذلك لكشف وحشية الاستعمار وآثاره على الحياة والهوية الجزائرية. وتعكس الرواية في الحاضر الواقع المعاصر للجزائر بعد الاستعمار الفرنسي.

يقول "بول ريكور": "الزمن لا يصبح إنسانيا إلّا إذا عبّر عنه بطريقة سردية" (Pareydt, & Ricoeur, 1993, p 225). وهذا ما قام به الروائيان، حيث لجآ إلى السرد وخصائصه لنقل الأحداث التاريخية حتى يتمكن القرّاء من عيشها مرة أخرى بطريقة مختلفة. ويضيف "ريكور" قائلا: "ترتكز كتابة التاريخ على مراجعة الوثائق المختارة بمساعدة نظام مؤيد للعملية" (Ricoeur, 2000. P 681). فتتنازع الرواية التاريخية مرجعيتان، الأولى حقيقية متصلة بالحدث التاريخي والثانية مرجعية تاريخية مقترنة بالحدث الروائي.

تحدّد "مايسة باي" في بداية روايتها "حجر ودم وورق أو رماد" تاريخ اليوم الذي استهلّت به روايتها، وهو الموافق للثاني والعشرين من ذي الحجة للسنة 1245 المصادف للرابع عشر من جوان من عام 1830، وهو يوم وصول السفن المتأهبة لدخول ميناء المدينة البيضاء (الجزائر) وذلك تحت أنظار العيون البريئة لشخصية "الطفل". وأعادت الروائية في الصفحة السابعة عشرة من الرّواية ذكر التاريخ نفسه مرة أخرى وهو اليوم الذي انطلق فيه الأسطول الفرنسي من "تولون" متجها إلى أرض الجزائر (أمريكا الجديدة الواسعة) "في صباح 14 جوان 1830 وصل الأسطول الفرنسي من "تولون" الذي انطلق في 25ماي نحو هذه الأرض المجهولة المسماة بالجزائر والتي تمثل أمريكا الجديدة الواسعة، يسكنها شعب جبان قذر وبدائي حسب ما قد قيل لهم" (BEY, 2008, p17, 18).

وذكرت الكاتبة في الفصل الخامس عشر الاحتفال الذي أقامته "مدام لافرانس" في ماي 1931 وذلك بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها للجزائر، فاحتفلت بالنصر وعبّرت من خلاله عمّا وصلت إليه: "في هذا اليوم المشرق من شهر ماي 1931، يلقي التحية آلاف الزوّار على "مدام لافرانس" ويتسابقون إلى الأبواب في انتظار الافتتاح الرسمي للمعرض الاستعماري الذي يعتبر "تمجيدا كبيرا عن التوسع" حسب ما وصفه أحد أعلامها" (BEY, 2008, p 85).

ثم ذكرت "مايسة باي" أحداث الثامن من ماي 1945 وذلك على لسان "ألبير كامو"، حيث تحدّث عن الملايين الذين خرجوا للاحتفال بالنصر: "احتفل في هذا اليوم الملايين بالنصر على البربرية وهو اليوم الذي رفع فيه العلم الجزائري ولطّخ بدم شاب عربي" (BEY, 2008, p 95). فقد احتفلت الدول الأوروبية بنهاية الحرب العالمية الثانية وإمضاء الهدنة مع ألمانيا النازية، ولهذا أراد الجزائريون المشاركة في هذه الفرحة ورفع العلم الوطني والمطالبة بحقهم في الاستقلال بأعلى صوت، ولكن الفرحة تحولت إلى مجازر عرفتها كل من قالمة، سطيف، وخراطة، والتي خلّفت أكثر من 45ألف شهيد.

تحدّثت الروائية في الفصل التاسع عشر من الرواية عن الأحداث التي وقعت في شهر ماي 1957 ببني يلمان بمسيلة (ملوزة)، حيث أشارت إلى أنّه لم يبق رجل حي في تلك القرية، فقد قتّلوا جميعا من طرف إخوانهم في اللّغة والدين: "هم متشابهون، جميعهم متشابهون، يطأطئون رؤوسهم في ظل المأساة التي يعيشونها بالرغم من أنهم يتكلمون اللّغة نفسها ولهم الديانة نفسها وتحتضن نسائهم بنفس الطريقة أطفالهن لحمايتهم من الطلقات النارية التي كانت تمطر على الدوّار" (BEY, 2008, p 107).

فتشير الساردة إلى وجود بعض الخونة الجزائريين الذين أصبحوا حلفاء للاستعمار الفرنسي ويأتونه بالأخبار عن المجاهدين ومخبئهم وتحركاتهم وبعد انكشافهم قتِلوا جميعا إذ ليس من الممكن التعايش مع الخونة. فوقعت المجزرة سنة 1957 وراح ضحيتها 357 تمّت تصفيتهم رميا بالرصاص.

ذكرت "مايسة باي" في الفصل الواحد والعشرين تاريخ نوفمبر1954، حيث صعد الجزائريون إلى الجبال من أجل المناضلة ومقاومة العدو وذلك بإعداد الكمائن والهجوم على المستعمر «بدءا من 1954 ظهرت ثورة جديدة حيث أصبح المتمرّدون خارجين عن السيطرة فهم يعيشون في الجبال ويعدّون الكمائن ويختبئون في أماكن يعرفونها جيدا..." (BEY, 2008, p 125).

ونلاحظ في الفصل الثالث والعشرين من الرواية أن الكاتبة تتحدث عما وقع تاريخيا فقط، فهو وثيقة عمّا حصل في السنوات الأخيرة من الاستعمار الفرنسي، فلا يوجد أي عنصر خيالي، إذ بدأت الساردة بالتحدث عن نشأة الجيش السري وتطرقت إلى رفض بعض عناصر الجيش الفرنسي مواصلة تقتيل وإبادة الجزائريين حيث لم يسمح لهم ضميرهم بالمشاركة في القوات المسلحة في الجزائر وهم يعتبرون بالنسبة للجيش الفرنسي خونة.

ومن جهة أخرى ذكرت الديموقراطيين الذين يقومون بتطبيق مضمون اتفاقيات إيفيان، فيواصلون خدمة فرنسا رغم أنّ شبح الجزائر المستقلة أصبح يهدد أحلامهم، بل أوهامهم المتعلقة بديمومة الجزائر الفرنسية: "يهدد طيف الجزائر المستقلة أحلام الرجال والنساء الذين اعتقدوا بديمومة الجزائر الفرنسية، فهم رافضون للفكرة ويعبرون عن غضبهم وقلقهم لمدام لافرانس" (BEY, 2008, p 138).

تطرّقت "مايسة باي" إلى الحديث عن "شارل ديغول" بطل المقاومة الفرنسية، الذي اعترف في الأخير بأنّ "الجزائر بلد المستقبل" فقد استسلم بعد سنوات طويلة من المقاومة وقال جملته الشهيرة: "لقد فهمتكم". ورغم هذا لم يؤمن بهذا الكلام فرنسيّو الجزائر، إذ قاطعوا الانتخابات وخرجوا يتظاهرون ليلا ونهارا في الشوارع مطالبين بالإبقاء على الجزائر الفرنسية ورفضوا الاستسلام وقاموا بهجومات متكررة خلّفت الكثير من الموتى والجرحى.

وبهذا توارت أيام "مدام لافرانس" التي أصبحت لا تعرف هذا البلد وهذا الشعب، بل أصبحت تشعر بالخوف: "لم تعد تعرف «مدام لافرانس" هذه الأماكن إذ أصبحت الجدران تصدر رائحة الخوف والكره، فقد انتهت أيام الأخوة بين الجزائريين والفرنسيين" (BEY, 2008, p139).

تناولت الروائية في الفصل نفسه الهجومات المنظمة من طرف **OAS** حيث غزت الطرقات الجثث المتراكمة ولُطّخت الجدران بالشعارات "**OAS** ستنتصر، أيها الشعب إلى السلاح". فقد كانت الهجومات عشوائية: «تشن منظمة **OAS** هجومات أينما تشاء وعلى من تشاء فقد هوجمت الثكنات العسكرية وقُتِل المحامون والمعلمون وغير المؤيدين للقضية الوطنية ودمّرت المباني والمستشفيات والمدارس والبلديات ومصالح البريد والمحلات والمصالح الإدارية، إذ يجب عليها هدم وتدمير كل ما أنشأته فرنسا." (BEY, 2008, p172).

وأنهت الكاتبة هذا الفصل بالإشارة إلى أنّ أيام فرنسا قد أصبحت معدودة في الجزائر:" لقد دسّوا شرف "مدام لافرانس" وهي تعلم الآن أنّ أيامها في الجزائر أصبحت معدودة" (BEY, 2008, p142).

ومن ثم قامت "مايسة باي" بدمج أحداث نصها التخيلي في الزمن التاريخي وذلك للحصول على الزمن الروائي، حيث أعادت تسطير التاريخ وفق ترتيب زمني معين، أي من بداية الاستعمار الفرنسي إلى غاية الحصول على الاستقلال. ولعّل إهمالها لذكر الأحداث التاريخية الأخرى راجع إلى كثرتها.

أمّا بالنسبة لرواية "التين الشوكي"، فقد تطرق الكاتب إلى عدد من الأحداث التاريخية التي كان البعض منها على شكل معطيات مدمجة داخل النص والبعض الآخر جاء عن طريق استرجاع للذكريات الماضية المنقولة من طرف أفراد عائلة الشخوص الروائية، فذكر في البداية أحداث الثامن من ماي 1945: " خلّفت جرائم سطيف وقالمة وخراطة 45000 قتيل في أسبوع واحد..." (Boujdedra, 2010, p 24). وبعدها تناول الكاتب حرب التحرير الوطنية: "قادت فرنسا الشرسة هذه الحرب بدون رحمة مستخدمة القنابل والإعدام والمقصلة..." (Boujdedra, 2010, p 34)، "بالإضافة إلى حرق المحاصيل الزراعية ومصادرة فرنسا للأراضي الجزائرية..." (Boujdedra, 2010, p 39).

ثم ذكر الكاتب أهم الأحداث التاريخية وذلك من خلال الاستشهاد بدروس المدرسة الفرنسية: "بدأت بإلقاء دروس الأستاذ "بوديي":

5جويلية 1830 احتلال مدينة الجزائر من طرف الجنرال "دي بورمون"

2سبتمبر 1830: احتلال مدينة وهران من طرف الجنرال "كلوزيل"

14 سبتمبر 1836: احتلال مدينة قسنطينة من طرف الجنرال "سانت أرنو"

وبعدها تلت سلسلة من الهزائم التي لا ينبغي أن ننساها حسب الأستاذ "بوديي" والأستاذ "بن عاشور" و"سي مصطفى" الذي تطرّق بسرعة إلى مقاومة لالة فاطمة نسومر في بلاد القبائل (1830-1857) ومقاومة أحمد باي في قسنطينة (1830- 1836) الذي قضى على الجنرال "دامريمون" أثناء حصار المدينة وأيضا مقاومة الأمير عبد القادر في تلمسان (1830- 1843)" (Boujdedra, 2010. P 43).

أراد "رشيد" البطل طيلة الرّواية تذكر ما علّمه إياه والده حول الحقائق التاريخية: "أصبح الجنرال "بيجو" الحاكم العام للجزائر حيث شجّع سياسة الهيمنة والقوة وذلك بقتل ربع عدد السكان في غضون خمسة عشر عاما إذ كان يوجد عام 1830 3000000 نسمة وأصبح العدد 2000000 نسمة عام 1846 وفقا لإحصائيات الجيش الفرنسي وذلك من خلال ما شرحه الأستاذ "بوديي" الكاثوليكي اليساري حسب ما قاله لي أخي "زهير"..." (Boujdedra, 2010, 79).

وتعلّم "رشيد" أيضا في الثانوية دروس تاريخ بلاده لكنه تاريخ محظور يعكس مشروع الاستعمار الفرنسي الذي يكمن في انتشال السكان الأصليين وتشويه تاريخهم، وقد أيقظت هذه الدروس في "رشيد" أفكارا محفزة للانتماء إلى صفوف جيش التحرير فهو يملك رسالة من أستاذه "بن عاشور" التي تشكل دليلا على ذاكرته التاريخية: "جيجل: 12 نوفمبر 1851. أخي العزيز، لقد صنعت للتو مكافأة الرأس المقطوع وهذا لسحق بلاد القبائل. سنقوم بنهب وحرق الأراضي وتدمير المنازل والأشجار حتى التين الشوكي... بصراحة أخي، تفقد الجزائر شعريتها بدون مجزرة ودخان" (Boujdedra, 2010,p 89).

ومنه نجد من خلال تحليلنا لرواية "التين الشوكي" أنّ الكاتب قد ذكر بعض المحطّات الأساسية التي عرفتها الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي والتي كانت مذكورة بصفة عابرة وغير مرتّبة وفق ترتيب زمني معين مقارنة بالتّي ذُكرت في رواية "حجر ودم وورق أو خيال" للكاتبة "مايسة باي" وسنقوم في الخاتمة بتحليل جميع النتائج التي توصّلنا إليها في ورقتنا البحثية هذه.

النتائج:

إذا ما قمنا بمقارنة اللّجوء إلى التاريخ عند "مايسة باي" وعند "رشيد بوجدرة" نجد أن "بوجدرة" لم يذكر كل الأحداث التاريخية مثل ما فعلته "مايسة باي"، فقد اكتفى بذكر ما يراه مهما ومناسبا لحبكته الروائية دون النزوح عنها، ومن ثم يمكننا القول إنّ رواية "مايسة باي" هي وثيقة تاريخية إذا ما قارناها برواية "رشيد بوجدرة" التي يندرج فيها الخيال كثيرا، والفقيرة من حيث الأحداث التاريخية مقارنة برواية "حجر ودم وورق أو رماد".

فقد كان اللجوء إلى التاريخ في رواية "حجر ودم وورق أو رماد" عامة ضربا من تسويق التاريخ روائيا والرواية تاريخيا من خلال بناء وتشكيل المعلومات التاريخية بدقة ضمن قصة خيالية مثيرة. ونلاحظ أيضا وجود هدف تعليمي غير خاف في الرّواية، إذ تحرص الكاتبة "مايسة باي" على وضع القارئ في السياق التاريخي دائما وبمنتهى الدقة غالبا؛ لأنها تتعامل مع القارئ تعامل المتعلم.

أمّا في رواية "التين الشوكي" فنجد تمازجا بين ما هو تاريخي وما هو أدبي، عن طريق اللّجوء إلى الحبكة السردية الواقعة بين الأحداث التاريخية والخيال الروائي إذ تشتغل الرّواية على مساحات واسعة من الخيال. فالرّواية والتاريخ يشكلان وحدة متكاملة ولا يمكن أن يكون كل منهما في اتجاه، فإذا كان التاريخ مادة جامدة فإنّ تناول الرواية له يجعله مادة مشوقة وحيّة. فتناولت هذه الرواية التاريخ وقدّمته في إطار مشوق حيث رصدت طبيعة النظام والأحداث خلال فترة الاستعمار الفرنسي للجزائر.

المراجع:

الجزائري، م. م. (د.ت). *تاريخ الجزائر*، منشورات مطابع دار الأيتام الإسلامية الصناعية القدس.

لفتة، م. ن. (1997). ولتر سكوت والرواية التاريخية، *المجلة الثقافية*، (40)، 57-185.

References

al-Jazā'irī, M. M. (N. D). *Tārīkh al-Jazā'ir, Manshūrāt Maṭābiʿ Dār al-Aytām al-Islāmīyah al-Ṣinā ʿīyah al-Quds*, (in Arabic).

Altwaiji, M. (2024). Neo-liberal Narratives or Neo-orientalism: Reflections from Post-9/11 American Novel on Arab Woman. *Arts for Linguistic & Literary Studies*, *6*(2), 511–521. https://doi.org/10.53286/arts.v6i2.1957

Barthes, R. & Kayser, W. & Booth, W. Hamon, P. (1997). *poétique du récit,* éditions du seuil.

BEY, M. (2008). *Pierre Sang Papier ou Cendre*, éditions Barzakh.

Boujdedra, R. (2010). *Les figuiers de barbarie*, Barzakh.

De Montagnac, L. (1843): *Lettres d'un soldat, neuf années de campagnes en Afrique, Ed. Plon*, Lettre du 15 mars.

De Tocqueville, A. (1988). *Travail sur l'Algérie, dans Alexis de Tocqueville,* De la colonie en Algérie, éd. Complexe.

DIB, M. (1975). *cité par Jean Dejeux, in littérature algérienne contemporaine, PUF, coll que sais-je ?*N1604, Paris.

Kamel, K. (2201). *Européen, « indigènes » et juifs en Algérie (1830-1962)*, Ined/PUF.

Laftah, M. N. (1997). wltr Sakkūt wa-al-riwāyah al-tārīkhīyah, *al-Majallah al-Thaqāfīyah*, (40), 57-185, (in Arabic).

Molino. (1989). *«histoire, roman, formes intermédiaires », in l'Histoire comme genre littéraire*, Mesure, N1.

Pareydt, L. Ricoeur, P. (1993). *L'avenir de la mémoire,* in Études, février

Ricoeur, P. (2000). *la mémoire, l'histoire, l'oubli,* Seuil.

VEYNE, P. (1971). *comment on écrit l'histoire,* Seuil.

YAHYAOUI, F. (N. D). *roman et société coloniale, dans l'Algérie de l'entre-deux-guerres,* ENAG-GAM.